AIJLLS |MARCH 2025 | VOL 9 ISSUE 19
مجلة اللسان الدولية / العدد التاسع عشر (مارس 2025م/ 1446 هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

النحو العربيّ، إرهاصاتُ نشأتِه، وواقعُ تكوينهِ. قراءةٌ نقديةٌ تحليليةٌ جديدة

Arabic Grammar, the Beginnings of Its Origins and the Reality of Its Formation. A New Critical and Analytical Reading

عزيز بن محمد الرحبي
azizrhbi2@gmail.com
الأستاذ المشارك الدكتور عبد الواسع إسحاق ناصرالدين
abdul.wasiu@mediu.edu.my

كلية اللغات– جامعة المدينة العالمية– ماليزيا

ملخص البحث: يقدم هذا البحث قراءة جديدة لواقع نشأة النحو العربي، فهو يُعطي الحق التاريخي لواضع درسه الأول بالتشارك لأكثر من طرف أولها: نزول الكتاب السماوي الخاتم القرآن الكريم، وتوجيهه عناية الناس نحو اللغة العربية لتكون لغة كتابةٍ ودرس بعد أن كانت محصورةً في الخطاب الاجتماعي الشفهي. ثانيها: المرويات الحديثية المحذرة من اللحن، وثالثها: الدعم الرسمي من جانب الحاكم خلال منتصف القرن الأول للهجرة. رابعها: المجهودات اللغوية الخالدة التي تزامنت مع تسجيل القراءات القرآنية من نقطٍ معجميٍّ وإعرابي. ورابعها: الفطنة اللغوية للنحاة الأوائل في المدينة والبصرة والكوفة، الذين استفادوا من جميع ذلك فرسموا للناس الخطوط الأولى للدرس النحويّ؛ فمكثوا غير بعيد حتى نضجت لديهم مصطلحاته ومفاهيمه وأصوله وقواعده؛ فوضعوا في منتصف القرن الثاني الهجري أو مؤلفٍ نحويٍّ فتح الطريق بكل وضوح للنحاة اللاحقين. ولم يكن النحو العربي في أي وقتٍ من الأوقات من وضع أفرادٍ محددين.

كلمات مفتاحية: نشأة النحو العربي، أصول النحو، واقع التكوين، الدرس، العربية.

Research Summary: In this research, the researcher has presented a new reading of the reality of the emergence of Arabic grammar, which gives the historical right to the one who established its first lesson, in partnership with many parties. The first: the revelation of the final heavenly book, the Holy Quran, to teach people Arabic grammar in writing and study after it was confined to oral social discourse. The second: modern narratives warning against mistakes. The third: official support from the organizational side during the first century AH. The fourth: the immortal linguistic efforts that coincided with the recording of Quranic readings from lexical and grammatical points. The fourth: the linguistic acumen of the early scholars in Basra and Kufa, who benefited from all of that, so people drew the first lines of the grammatical lesson. They stayed not long

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

until its terms, concepts, origins and rules matured. They established in the middle of the second century AH or a grammarian who clearly opened the way for the later scholars. It was not supposed that the Arab at any time was from specific individuals. The researcher employed the historical approach to frame the events and personalities that contributed to bringing this science into the field. He also employed the descriptive approach to track and extrapolate relevant scientific opinions. He also used the critical approach to analyze those opinions and events and their role in the emergence and formation of the grammatical lesson. This research consisted of an introduction, two chapters, and a conclusion. In addition to the summary of the research and its results: The first chapter dealt with the general linguistic reality before the official emergence of Arabic grammar. While the second chapter followed the dialectic of the position of grammar in its first roots (the emergence stage).

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. إن علم النحو من الحقول المعرفية المهمة، والتي تحتوي على رصيد ثقافي لغوي ثري يظهر بارزًا في مجهودات التقعيد والشرح والتحقيق والتفسير والتلخيص والتعليق، والتي امتدت عبر أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، يمكن أن تكون أبعد من ذلك إذا أضفنا موضوع الكتابة العربية ونشأتها إلى هذا الطرح. وفي هذا البحث المختصر يناقش الدارس قضية أساسية من قضايا هذا العلم الشريف المتشعبة والمترابطة في آن واحد. وبالتحديد يناقش الدارس الواقع المعرفي المتوارث لنشأة علم النحو العربي الذي ينسُب على الدوام وضع الدرس النحويّ الأول إلى شخصياتٍ علميةٍ بارزة. ويتناول بالنقد والتحليل هذه الآراء ومدى تطابقها مع طبيعة الدرس النحويّ العربيّ من داخله المنهجي والمعرفي.

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذه الدراسة في إيجاد قراءةٍ جديدةٍ بخصوص الحصيلة المعرفية التي تجمعت لدينا فيما يتصل بوضع النحو العربي ودرسه الأول، قراءةٌ تتقارب بصورةٍ أكثر عمقًا وانسجامًا مع الواقع التاريخي والعلمي لفترة نشأة النحو، وتكوينه، ونضجه، كما تسلط الضوء على الشخصيات التي نُسب إليها هذا الشرف؛ للوقوف على مجهوداتها الفعلية في هذا الصدد، كما تفصّل الحديث عن مصطلحي: النحو والدرس النحويّ وأهمية الفصل بينهما في هذه القضية.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في جدوى إعادة النقاش في آراء بعض المتقدمين والمتأخرين من العلماء، الذين ينسبون وضع النحو العربي إلى شخصياتٍ محددة، وهل قامت تلك الشخصيات برسم المسائل الأولى لعلم النحو حقًا؟ وبعد ذلك مدى وصول الباحث إلى الحقائق العلمية اللازمة للخروج بمقاربة أكثر إقناعًا وموضوعية.

أسئلة البحث

1. من هي الشخصيات البارزة والمغمورة التي نُسب إليها وضع علم النحو العربي؟
2. ما مدى صحة الآراء التاريخية في أول من وضع علم النحو؟

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

3 . ما الفرق بين النحو والدرس النحويّ؟

أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى طرح رأي جديد بين الآراء المتصلة بنشأة النحو العربي، ونقد الآراء القائمة نقدًا موضوعيًا محققًا. كما تهدف كذلك إلى بيان ضرورة الفصل بين النحو العربي كمجالٍ علميّ، وبين درسه النحويّ عندما يتعلق الحديث بأصول النحو، ونشأته.

مصطلحات الدراسة

أولًا: (النّحْو)

النَّحْو: الْقَصْد نحوت الشَّيْء أنحوه نَحوا إِذا قصدته. وكل شَيْء أممته ويممته جَمِيعًا فقد نحوته، وَمِنْه اشتقاق النَّحْو فِي الْكَلَام كَأَنَّهُ قصد الصَّوَاب. (ابن دريد، **جمهرة اللغة**، 575/1). والنحو في اصطلاح أصحاب الصناعة: ما يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً.

ثانيًا: (الدرس النحويّ)

(الدرس) دَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُه دَرْساً ودِراسَةً ودارَسَه، مِنْ ذَلِكَ، كأَنه عَانَدَهُ حَتَّى انْقَادَ لِحِفْظِهِ. ودَرَسْتُ الْكِتَابَ أَدْرُسُه دَرْساً أَي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حِفْظُهُ عليَّ (ابن منظور: مادة درس) وفي الاصطلاح يتداول الفعل "درس" بمعنى ممارسة التعلم، والانمحاء. وله كذلك استعمالات اصطلاحية أخرى قد هُجرت كالأكل الشديد، والحيض، وجرب البعير. ويمكن تحديد حقل دلالي مشترك لهذه المعاني، فهي جميعًا تنطلق من "المحاولة والمعاندة". وفي هذه الدراسة اعتمد الباحث من ناحية إجرائية معنى: "كل ما يتعلق بالمادة العلمية النحوية لباب معين من الأبواب النحوية من حيث نشأتها."

حدود البحث

تنقسم حدود البحث في هذه الدراسة إلى حدود موضوعية، وزمانية، ومكانية. فالحدود الموضوعية تؤطر باستقصاء الأقوال العلمية في نشأة النحو، عن طريق محددات الدراسة الآتية: الأصول النحوية، والمصطلحات، والمؤثرات المختلفة في الواقع اللغوي آنذاك. والحدود الزمانية منذ ظهور الكتابة العربية، وحتى نشأة التدوين النحوي. وأما الحدود المكانية فتتمثل في أماكن نشاط الدرس النحوي منذ عهد النشأة: الكوفة والمدينة والبصرة. كما تلاحظ كذلك أماكن النشاط اللغوي العربي ما قبل نزول القرآن الكريم.

منهج البحث

وظف الباحث المنهج التاريخي لتأطير الأحداث والشخصيات التي ساهمت في إخراج هذا العلم إلى الميدان، كما وظف المنهج الوصفي في تتبع واستقراء الآراء العلمية ذات الصلة، واستخدم كذلك المنهج النقدي في تحليل تلك الآراء والأحداث ودورها في نشأة الدرس النحويّ وتكوّنه.

إجراءات الدراسة وهيكلته

قام الباحث بإنجاز قراءات مكثفة في مسارين رئيسين يخدمان موضوع البحث، وهما: كيف نشأت الكتابة العربية؟ ومن أول من وضع علم العربية؟ ثم قام الباحث بتدوين جميع الملاحظات التي تخدم عنوان البحث، وأخيرًا تم صياغة هيكلة مناسبة تعالج مضمون الدراسة، وقد تكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين،

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

وخاتمة. إضافة إلى ملخص البحث ونتائجه: المبحث الأول تناول الواقع اللغوي العام قبل الظهور الرسمي لعلم النحو العربي. بينما تتبع المبحث الثاني جدلية وضع النحو في جذوره الأولى (مرحلة النشأة)

الدراسات السابقة

هناك الكثير الكثير من الدراسات التي عُنيت بتاريخ النحو العربي، ولكنها جميعًا ـ إن لم أبالغ ـ لم تخرج عن السياق التاريخي الذي رصد هذه القضية. ولم أجد من الباحثين القدماء أو المعاصرين ممن أشار إلى احتمال ظهور الدرس النحوي عبر تشارك جماعة معتبرة من المهتمين بالشأن اللغوي.

المبحث الأول: واقع الدرس اللغوي العربي القديم

في هذا المبحث سوف يصف الدارس واقع الدرس اللغوي في كيانه العام، وطريقة تعاطي المستخدمين لهذه لأداة في هذه المرحلة. وهي المرحلة الممتدة قبل الإسلام إلى منتصف القرن الأول الهجري، على اعتبار إن هذه الفترة الزمنية هي التي مهدت الطريق إلى "نشأة النحو العربي وتكونه" والتي سوف يناقشها الدارس في المبحث القادم.

المطلب الأول: واقع الدرس اللغوي القديم.

إن مناقشة واقع أي درس لغوي قديم لأي لغةٍ إنسانية يستدعي معه استحضار التاريخ الكتابي لتلك اللغة[1]؛ لأن الدرس النحويّ يمثل جانبًا مهمًا من جوانب تلك اللغة. واستعمال اللغة العربية قبل ظهور الإسلام الخاتم كان في غالبه استعمالًا شفهيًا، قلما يوظفون الخط إلا في مجالات محدودة تتصل بحفظ الأدب، وتوثيق العهود، والعقود[2].

وما وصل إلينا من مرويّات متناثرة قبل الإسلام، كتابية كانت أو شفاهية، تبرز سمات الواقع اللغوي السائد آنذاك وهي:

1. أن اللغة ـ رغم اشتغال الإنسان الجاهلي عنها بالحروب والتنقل وكسب العيش ـ تعد الوثيقة الأساس للاطلاع على تفاصيل الحضارة العربية قبل الإسلام.

2. الهالة العظيمة من الفخامة اللغوية التي يحظى بها المجتمع العربي القديم[3]، ومن مظاهرها ندرة "اللحن" الذي كان في أكثره معجميًّا وليس نحويًّا، كنعت المتلمس خال طرفة للجمل بـ "الصيعرية" وقد شاع عند العرب وصفًا للناقة[4]، وأما

---

(1) نشأة الكتابة العربية وتاريخها موضوع شائك جدًا؛ بسبب التفريعات الكثيرة في هذه القضية. فهناك من يرى أن العربية هي أولى اللغات الإنسانية، ومنهم من يرى أنها نضجت بعد ذلك، واختلفوا في أول من نطق بالعربية، كما اختلفوا في وقت ظهور الرسم الكتابي العربي وكيف كانت ماهيته، والذي يعنينا من هذا الأمر أن العربية نطقًا وخطًا هي لغةٌ موغلةٌ في القِدَم. وقد هيأ لها نزول الكتاب السماوي الخاتم بحروفها عنايةً خاصة مهدت لنشأة درسها النحوي بعد ذلك.

(2) جواد، علي، **المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام**، ط4، دار الساقي: بيروت، 2001/1422م، 15/1، فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص38.

(3) الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، 1422هـ/2002م، 21/3

(4) الظبي، المفضل بن محمد، **أمثال العرب**، بيروت: دار الرائد، ط1، 1401هـ/1981م، ص174.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

"اللحن" النحوي عند الجاهليين فيكاد ينحصر فيما يعرف بظاهرة "الإقواء" في الشعر[1]

3. يؤكد الباحثون في أصول اللغة، أن العربية التي نزل عليها القرآن الكريم هي العربية ذاتها في الحقبة الجاهلية، وأنها جميعًا تشكلت من عناصر سامية موغلة في القدم، ولا مجال للاعتقاد أن هناك تطورًا طرأ على الفصحى بعد نزول القرآن يتعلق بخصائص لغوية جوهرية كالإعراب مثلًا[2]. إن هذا التصور الخطير للمستشرق "فولرز" يوحي بأن العربية المولدة قد نشأت في عصر جمع قواعد النحو العربي[3].

فهكذا إذن نرى أن التراكيب النحوية، والصيغ الصرفية، التي تطور عبرها الدرس النحوي فيما بعد، إنما هي مجموع حصيلة لغوية ناضجة شكلت المادة الخام التي كشف عنها عباقرة اللغة لاحقًا في القرون الأولى، فجمعوها ورتبوها وأضافوا لها ما بدا لهم من الشواهد الإسلامية، في إطار العلة والقياس، والأصول النحوية الأخرى.

المطلب الثاني: الملامح العامة للدرس النحوي في عصر صدر الإسلام.

في الفترة الزمنية التي سبقت نزول القرآن الكريم لم يُعرف أيُّ درس نحويّ يتصل باللغة العربية. وكان الواقع اللغوي العربي آنذاك عمومًا كما تقدم بيانه: عبارة عن قطع خطية متناثرة لتدوين الأدب، والعهود، والعقود. فلم يظفر الباحثون بمؤلفٍ علميّ مكتوب بالعربية فضلًا عن وجودِ درسٍ نحويٍّ خاص.

ولكن نزول القرآن الكريم طوّر المكانة الاجتماعية للغة العربية وجعل منها لغةً عالمية مقننة ومدروسة. ولقد مرّ ذلك التطور بطورين متعاقبين: جمع المادة المعرفية وترتيبها، ثم طور التقعيد والتطبيق. الطور الأول بدأ مع بداية ظهور الكتابة العربية بغض النظر عن الاختلاف التاريخي فيها[4]، وكانت ثمرة هذه البدايات كما تقدم: شعر، وخطب، وخواطر، وعهود، وعقود.. وكانت المحطة الأبرز لتاريخ الكتابة العربية ودرسها النحويّ هو تحويل آيات القرآن الكريم من صورة كلامية إلى صورة كتابية في عهد النبوة، ثم جمع تلك الآيات من المواد الأولية ومن الصدور في كتابٍ واحد، ومن ثمَّ نسخ ذلك الكتاب إلى عدة نسخ وإعادة ترتيبه مرة أخرى، في عهد الخلافة الراشدة[5].

وأما "مرحلة التطبيق والتقعيد" على المادة العلمية المجموعة فلا يمكن الجزم كذلك ببداياتها الدقيقة؛ لأن ذلك يتوقف على وجود أدلةٍ نقليةٍ وعقليةٍ راجحة. وما يتوفر لدينا من أدلةٍ تعود إلى عهد الخلافة الراشدة هي أدلةٌ ظنية كما سيأتي في المبحث الثاني. ولكن يمكن القول ـ مع الجمع بين تلك الأدلة ـ أن واقع الدرس النحويّ لم ينشأ بعدُ في عصر صدر الإسلام نشأة رسمية وإنما كانت نشأة تحضيرية تتمثل في دراسة لغات القبائل العربية

---

(1) إبراهيم، أنيس، **موسيقى الشِّعر**، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، 1952م، ص261.

(2) انظر: ضيف، شوقي، **تأريخ الأدب العربي**، القاهرة: دار المعارف، 6ط1 105/1. يوهان فك، **العربية**، ص11.

(3) صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ/1960م، ص122.

(4) انظر: جمعة إبراهيم، **قصة الكتابة العربية**، د. ط، دار المعارف، مصر، 1947، ص9 وعلي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص185.

(5) ينظر: ابن وهب، **تفسير القرآن من الجامع**، تحقيق: ميكلوش موراني، ط1، دار الغرب الإسلامي، 26/3. ابن شبة، **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم بن محمد، ط1، 1399هـ/1979م. 991/3.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

دراسة معجمية دعا لها الاهتمام بغريب القرآن والحديث الشريف[1]. كما مثل الاهتمام بتعليم القراءات القرآنية عاملًا مهما في نشأة النحو العربي. وكان "رقي العقل العربي أيضًا ونمو طاقته الذهنية عاملًا مساعدًا لرصد تلك الظواهر اللغوية أولًا ثم تسجيلها في رسوم نحوية فيما بعد[2]. وبوفاة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وانتقال الحكم للأمويين بدايات القرن الثاني الهجري طُويت الرعاية الراشدة للدرس النحوي مخلفةً أشهر الأقوال التاريخية فيمن كتب أول درس فيه.

المبحث الثاني: جدلية وضع النحو في جذوره الأولى (مرحلة النشأة)

حين اختلف المؤرخون في أول من وضع الدرس النحويّ العربيّ على هيئته المتداولة الآن؛ كان اختلافهم محصورًا في أشخاصٍ محددين، وفي إطارٍ زمنيٍّ محدد أيضًا. أو على الأقل هذا ما اشتهر في الميدان العلمي عندما يتصل الأمر بقضية "نشأة النحو العربي" وأما الآراء الأخرى التي تنسب نشأته إلى جماعاتٍ معينة كأن تكونُ مثلًا مدارس نحويّة مرتبطةً بالمكان، أو آراءً أخرى ناقدةً لما اشتهر عند العلماء الأوائل؛ فقد بقيت أقل درجةٍ في الاعتبار عند الباحثين. أضف إلى ذلك أن مصطلح "النحو العربي" الذي يراد به هذه المادة العلمية المتداولة الآن بين أيدينا، كان يتداول قديمًا (قبل عصر الخليل)[3] بمصطلحاتٍ بديلة وهي: اللغة، العربية.

المطلب الأول: الآراء الستة في نشأة النحو العربي

1 ـ الإمام عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ هو من وضع أصول النحو العربي. وهذا رأي: ابن الأثير[4]، والجاحظ[5]، والعيني[6]، وآخرين[7]. وكان ابن الأنباري يجعل وضع النحو العربي مناصفة بين الإمام علي وتلميذه أبي الأسود؛ حيث اشتهر عنه هذه الرواية:" أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ دفع إلى أبي الأسود رقعة فيها: "الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ به، والحرف ما أفاد معنى. واعلم أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس فيما ليس بظاهر ولا مضمر ... " ثم إن أبا الأسود وضع أبواب "العطف، والنعت، والتعجب، والاستفهام" إلى أن وصل إلى باب إن وأخواتها ما

---

(1) كتاب "غريب القرآن في شعر العرب" أقدم مدون في التفسير واللغة. إن صح نسبة متنه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وهي مسائل سألها نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس في معاني بعض الكلمات القرآنية.

(2) شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، دار المعارف، مصر، د.ط، ص13

(3) فيما يبدو أن مصطلح "النحو" الذي يراد به: ما يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً، لم ينضج إلا في عصر الخليل أو أستاذه عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي. وكان الخليل يطلق عليه اسم "وجوه العربية" (العين، 302/3) مع العلم أنهم، أي جميع من كان في دائرة الخليل من أساتذة وطلاب، يتحدثون عن النحو والصرف كعلمٍ واحد.

(4) ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط1، 1389هـ/1969م، 549/12.

(5) الصفدي، خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث: بيروت، د.ط، 305/16.

(6) بدر الدين العيني، **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، تحقيق: جماعة من الباحثين، دار إحياء التراث: بيروت، د.ط، 196/8. 8/22. وانظر كذلك لنفس المؤلف: المقاصد النحوية، 302/1

(7) ينظر: يوسف أماني زاده، **نجاح القارئ شرح صحيح البخاري**، تحقيق: شاكر الزيباري، جامعة القاهرة: مصر، 1436هـ/2014م، 925/1. سعيد الأفغاني، **من تاريخ النحو العربي**، مكتبة الفلاح، د.ط، ص27

خلا لكن، فلما عرضها على علي أمره بضم "لكن" إليها، وكلما وضع بابا من أبواب النحو عرضه عليه[1]. وقد ذهب إلى الرأي الذي يقول إن الإمام علي هو الذي أشار على أبي الأسود بوضع النحو ووضع له مبادئه الأولى جماعة من المتقدمين والمتأخرين، كابن الأنباري، والشيخ علي الطنطاوي[2].

2 . التابعيّ عمرو بن ظالم أبو الأسود الدؤلي[3] هو من وضع الأصول الأولى للدرس النحويّ. وهذا رأي: محمد بن حبان [4]، وابن منجويه[5]، وابن عبد البر[6]، وابن منده[7]، والنووي[8]، ويحيى بن معين، وأحمد بن عبد الله[9]، وآخرون من رجال الحديث. والسمعاني، وابن عساكر، والصفدي، من المؤرخين[10] وغيرهم. كما ذهب إلى هذا الرأي علماء وأدباء

---

(1) ابن الأنباري، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار/ الأردن، ط3، 1405هـ/ 1985م، ص5.

(2) الطنطاوي، **نشأة النحو وأشهر النحاة**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، مكتبة إحياء التراث، ط1، 1426هـ/2005م، ص31. وانظر كذلك: **مجلة جامعة أم القرى**، 343/11.

(3) أبو الأسود عمرو بن ظالم، وقيل: ظالم بن عمرو، وقيل: عمرو بن سفيان. وقيل: ظالم بن سفيان، وقيل: سارق بن ظالم. وقيل: عثمان بن عمرو. من ديل من قبيلة كنانة. وقيل إنه أدرك حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وذكر ابن منده في كتابه (فتح الباب في الكنى والألقاب ص77) أنه أدرك الجاهلية. والمشهور إنه تابعي من كبار التابعين. ولد سنة واحدٍ قبل الهجرة، وتوفي سنة 67هـ في طاعون الجارف على عهد عبيد الله بن زياد كما ذكر المقريزي (تهذيب التهذيب، 64/15) . هاجر إلى البصرة على عهد سيدنا عمر واستعمله الإمام علي عليها بتكليف من الحبر ابن عباس رضي الله عنه. وقد شهد يوم صفين ويوم النهروان. أعماله العلمية إضافة إلى القول بتأسيس قواعد النحو هي: تنقيط المصحف الشريف. انظر: البخاري، **التاريخ الكبير**، ط1، 277/11. ابن الجراح، **من اسمه عمرو من الشعراء**، ص16 بترقيم المكتبة الشاملة. ابن حبان، **الثقات لابن حبان**، ط1، 400/4. الحاكم النيسابوري، **الأسامي والكنى**، 239/1، رقم 451. ابن عبد البر القرطبي، **الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى**، 400/1، رقم 391. ابن الأثير، **جامع الأصول**، 549/12. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 455/3. السيوطي، **بغية الوعاة**، 22/2. رقم 1334.

(4) ابن حبان، **الثقات لابن حبان**، دائرة المعارف، حيدر أباد، ط1، 400/4.

(5) ابن منجويه، **رجال صحيح مسلم**، تحقيق: عبد الله الليثي، دار الفكر، بيروت، 1407هـ/ 1988م، ط1، 333/1، رقم 725.

(6) ابن عبد البر القرطبي، **الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى**، 400/1، رقم 391

(7) ابن منده، **المستخرج**، تحقيق: عامر صبري، نشر وزارة العدل: البحرين، 574/2.

(8) النووي، **شرح النووي على مسلم**، دار إحياء التراث: بيروت، ط2، 1392هـ/1972م، 51/2.

(9) النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 176/2.

(10) انظر: السمعاني، **الأنساب**، ط1، 406/5. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ط1 25، 176. المقدسي، **الكمال في أسماء الرجال**، ط1، 45/6. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 305/16.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

آخرون كالسيوطي[1]، والزبيدي[2]، ومحمد بن سلام[3]، والعسكري، والسيرافي[4]، وغيرهم كثير...

3 . تلاميذ أبي الأسود الدؤلي وتلاميذ تلاميذه هم من وضع قواعد النحو العربي. وهذا الرأي تناقله بعض المؤلفين. تلاميذ أبي الأسود الذين يُنسب إليهم شرف وضع القواعد النحوية الأولى وتلاميذهم هم: نصر بن عاصم (ت89هـ) وعبد الرحمن بن هرمز (ت117هـ)، وعبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت117هـ)، ويحيى بن يعمر (ت129هـ)[5]. أما الأول والثاني فقد وُجد لهما سند علمي عند محمد بن إسحق النديم[6]. وأما الثالث فقد اشتهر له ما قاله عنه محمد بن سلام الجمحي: أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل[7]. وأما يحيى بن يعمر فقد نقل له السيوطي سندًا عن أبي حاتم عن ابن الزبرقان عن قتادة: أول من وضع النحو بعد أبي الأسود يحيى بن يعمَر، وقد أخذ عنه عبد الله بن أبي إسحاق[8].

4 . الخليل بن أحمد الفراهيدي هو من وضع النحو العربي. وهذا هو رأي الأستاذ أحمد بن أمين الذي حاول أن يوفق بين كلام جمهور العلماء في نسبة النحو لأبي الأسود، ورأيه المختار. يقول: "ويظهر لي أن نسبة النحو إلى أبي الأسود لها أساس صحيح، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط، وهو أنه ابتكر شكل المصحف، وواضح أن هذه خطوة أولية في سبيل النحو، تتمشى مع قانون النشوء، وممكن أن تأتي من أبي الأسود، وواضح كذلك أن هذا يلفت النظر إلى النحو فعمل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب، ووضع القواعد له. . . وأن هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعد، وسموا كلامهم نحواً، سحبوا اسم النحو على ما كان من أبي الأسود، وقالوا إنه واضع النحو، للشبه في الأساس بين ما صنع وما صنعوا وربما لم يكن هو يعرف النحو بتاتاً، ثم رأى بعد كلام طويل أن واضع النحو الذي نعرفه إنما هو الخليل بن أحمد[9]. وذهب إلى هذا الرأي كذلك الدكتور شوقي بن ضيف، واعتبر الخليل هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو بمعناه الدقيق. وعلى كل حال فالآراء التي تذهب لصالح الخليل بن أحمد لم تنطلق من الإخباريات المجردة، بل يقويها ما خلفه الرجل من مؤلفاتٍ لغوية وآراء نحوية كثيرة في كتاب تلميذه سيبويه.

5 . علم النحو كان موجودًا قبل نزول القرآن الكريم. وهذا هو رأي أحمد بن فارس الشدياق. يقول في كتابه الرائج "الصاحبي

---

(1) السيوطي، **بغية الوعاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية: لبنان، 22/2. رقم 1334. والمزهر في علوم اللغة، 341/2.

(2) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 28/ 465. وله في كتابه الآخر (طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، ط2، ص50) رأي أكثر تفصيلًا، وهو أن أبا الأسود وضع النحو بمعية بعض تلاميذه. يقول: " فكان أولَ مَن أصَّل ذلك وأعمل فكره فيه، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤليُّ، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هُرْمز. فوضعوا للنحو أبوابًا، وأصَّلوا له أصولًا؛ فذكروا عوامل الرَّفْع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف. وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم. انتهى."

(3) الموسوعة الميسرة (تأليف جماعة من الباحثين) ط1، 1090/2.

(4) السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه الزيني، ومحمد خفاجي، نشر مصطفي البابي، 1377هـ/1966م. ص13.

(5) يُنظر: سعيد الأفغاني، **من تاريخ النحو العربي**، ص27.

(6) ابن النديم، **الفهرست**، ت: أيمن السيد، الطبعة المصرية، 104/1.

(7) محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود بن محمد شاكر، دار المدني: جدة، 14/1

(8) السيوطي، **المزهر**، تحقيق: فواد بن علي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، 342/2.

(9) أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، 286/3.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

في اللغة": فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول إن هذين العِلمين قد كانا قديمًا، وأتت عليهما الأيام، وقلَّا في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان[1]." فهكذا لم يكن لأبي الأسود أو الخليل إلا مهمة البعث والتجديد.

6 . النحو العربي نبتت جذوره الأولى في فترة الحياة الإسلامية قبل خلافة الإمام علي. ولعل هذا الرأي يفسر نسبة نشأة النحو إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويفسر كذلك توجه بعض الباحثين إلى منشأ الدرس النحوي في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يذهب إلى هذا الرأي أحدٌ من العلماء القدامى، ولكنه رأي ذهب إليه كثير من الباحثين المحدثين[2].

المطلب الثاني: مناقشة الآراء السابقة:

إن الآراء الستة المتقدمة في التأريخ لنشأة النحو العربي لم تكن من الظن والتخمين المجرد؛ بل انطلقت من معرفة عميقة لأبعاد كلمة "النحو" هذه المعرفة التي تفاوت فيها الباحثون هي التي صنعت تلك الآراء بين رأي ذاهبٍ إلى الوراء البعيد، وآخر متجدد بتجدد المعارف ذاتها. ويحق للباحث المعاصر أن يسبر غور تلكم الآراء لمعرفة أبعادها كاملة؛ فإن التصور الدقيق لهذه القضية سوف ينعكس على الدرس النحويّ الناضج بطريقةٍ أو بأخرى.

أ . دائرة الإمام علي وتلميذه أبي الأسود:

إن نسبة وضع القواعد النحويّة إلى الرجال الأوائل الذين كان نشاطهم اللغوي منذ بداية القرن الأول الهجري وحتى بدايات القرن الثاني للهجرة يثير إشكالين: الأول، هو القفز على الترتيب الطبيعي للبحث اللغوي بشكل عام[3]، فإن إخراج قواعد نحويّة جاهزة في قالب دراسي يستدعي أولًا أن تُسبق بعمليات جمعٍ للشواهد الفصيحة، ومن ثَمّ دراسة عللها، وعرضها على موازين القياس. وما نقله إلينا المؤرخون[4] هو أن الإمام عليّ ومن معه في هذا الفريق دونوا درسًا نحويًّا مكتملًا؛ فمتى اكتمل عندهم تصور تلك الدروس، واللغة لم تُجمع بعد[5]؟ كما إن بعض الباحثين المحدثين يرى أن العرب لم يؤثر عنهم أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام، وحين اهتموا بتدوين العلوم؛ لم يخفوا لها سراعًا كما فعلوا مع علوم الشريعة[6]. والإشكال الثاني: أن هذا الرأي لم يتأسس على

---

(1) ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها**، محمد بيضون، ط1، 1418هـ/197م، ص36.

(2) انظر: عيد، محمد، **أصول النحو العربي**، ط4، ص24، الخراط أحمد، **عناية المسلمين باللغة العربية**، ص13. **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، 328/38.

(3) أحمد بن مختار، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب: القاهرة، ط8 ص67.

(4) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان بن عباس، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، 1466/4.

(5) يرى السيوطي أن جمع شواهد الفصيح من اللغة بدأ بعد منتصف القرن الثاني الهجري، وبدأوا فيه بعد تدوين الحديث الشريف، والتأليف في الفقه والتفسير. (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص173.) كما ذهب بعض المحدثين إلى أن أكثر اللغة جُمع في العصر العباسي الأول لا قبله. (أحمد بن أمين، ضحى الإسلام، 298/1)

(6) أحمد بن مختار، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب: القاهرة، ط8، ص79.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

أدلةٍ علميّة تطمئن إليها النفس؛ كمثل سند قويّ يمكن أن يُعوّل عليه، أو إجماع، أو مدونة موثوقة بخط أحد أولئك الأعلام يمكن أن تُفيد في هذا الجانب. وإنما غاية ما يُستند إليه هنا هو حسن ظن الرواة ببعضهم البعض، والخبر المتقدم في كتاب ابن النديم عن ابن أبي بعرة (الرجل الجماعة للكتب) ووجود دوافع مقنعة تبرز الحاجة إلى تطوير مثل هذا العلم، كالحفاظ على القرآن الكريم، ودراسة الحديث الشريف، والتصدي للحن[1]. وظهور بعض الأعمال الجليلة المرتبطة بالخط والكتابة كنقط المصحف. كذلك التعويل على مصادر مفقودة لم يبق منها غير الوصف، لا يخرج منها الباحث بشيء[2]. وأخيرًا لا أستبعد أن يكون العامل الديني والعلمي والسياسي حاضرًا في ذلك؛ فإجلال الخلفاء الراشدين، وتوقير القراء، وسطوة ملوك بني أمية، كان له دور في توجيه التأريخ للنحو العربي، وهو تقرير تشهد له المرويّات.

إضافة إلى تلك الإشكالات المتقدمة، فإن هناك تساؤلات أخرى ينبغي الإجابة عنها وهي: لماذا لم يجرِ ذكر شيٍ من التحليلات النحويّة في المؤلفات التي دُونت في تلك الفترة[3]، ولو بإشارة عابرة؟ لا سيما وقد قيل إن بعض الأبواب النحوية قد اكتملت كباب التعجب، والفاعل، والمفعول وغيرها... بل ساقوا من الأخبار ما نفهم منه أن مصطلحات النحو وأصوله قد نضجت عند الإمام عليّ؛ فقد نقلوا أنه كتب لأبي الأسود صحيفةً جاء فيها: "الْكَلَام كُله لَا يخرج من اسْم أَو فعل وحرف جَاءَ لِمَعْنى" ثمَّ رسم أصُول النَّحْو كلهَا[4].

لقد أسند المحدث الشهير ابن حبان المتوفى سنة (354هـ) في بعض مؤلفاته، رسم النحو العربي إلى أبي الأسود الدؤلي. وتبعه كثير من الكُتاب في التفسير، والحديث، واللغة في تناقل هذا الرأي عبر القرون، وزاده شهرةً وثباتًا بعد ذلك صنيع المحققين والشراح في الحواشي حين يقرنون ترجمة أبي الأسود بوضع النحو. وأما من نسبه إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فلعلهم نظروا إلى المقام العلميّ الرفيع لهذه الشخصية الإسلامية الكبيرة، وصلته ببيت النبوة الشريفة؛ فلم يستبعدوا نسبة شيءٍ من الفتوحات العلمية إليه، إضافة إلى تأثرهم بما نقله ابن الأنباري المتوفى سنة (327هـ) في كتابه "نزهة الألباء" وقد تقدم ذكره. والحقيقة لا يمكن استبعاد عامل التعصب للمدرسة النحويّة عندما يتعلق الحديث بأبي بكر ابن الأنباري فهو قامةٌ من قامات الكوفيين وهو الذي يقول: "ولو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس، إذ انتهت العلوم إليهما، وكان

---

[1] أحصيتُ اللحون التي سُجلت في فترة النبوة الشريفة، والخلافة الزاهرة، وما بعدها من حكم بني أمية عشرات الروايات، كسؤال أحدهم أبي الأسود: من المتوفي؟ بكسر الفاء يريد الشخص، فأجابه: الله عز وجل. وخبر أبي الأسود كذلك مع ابنته حين قالت: ما أحسن السماءُ، بضم الهمزة؛ لغرض التعجب. فأجابها: شهرا ناجر. وخبر الرجل الذي أتى زياد بن أبيه فَقَالَ أصلح الله الْأَمِير مَاتَ أَبَانَا وَخلف بنُون. ومن أراد الاطلاع على مثل هذه الأخبار فلينظر: معجم الأدباء 1465/4، والفهرست ص60، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد،1/ 532.

[2] محمود حجازي، **علم اللغة العربية**، دار غريب: القاهرة، د.ط، ص84.

[3] كالتفسير المنسوب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه المتوفى سنة68هـ، وتفسير مجاهد بن جبر المتوفى في سنة 104هـ. وكتاب مسائل نافع بن الأزرق، وكتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة السدوسي المتوفى سنة 117هـ. وكتاب الناسخ والمنسوخ المنسوب إلى ابن شهاب الزهري المتوفى سنة 124هـ.

[4] الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث: لبنان، 1423هـ/2000م، دط، 16/ 306.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

يقال: النحو الفراء، والفراء أمير المؤمنين في النحو.[1]" فهل يقدم شرف "وضع العربية" بعد ذلك لنصر بن عاصم أو لابن هرمز، أو للحضرمي، أو للخليل وتلاميذه؟

وإذا نظرنا إلى أحد أهم المراجع العلمية في هذه القضية وهو كتاب "الفهرست" لمحمد بن إسحق النديم؛ نجد أن بعض الدارسين المحدثين سجل ملاحظات مهمة يمكن أن تُوضع في سياق مناقشة هذه المسألة، الأولى: المكانة العلمية التي حظي بها ابن النديم عند أقرانه من العلماء، فالرجل استفاد من حرفة "الوراقة" في جمع الأخبار والقصص وضمها إلى بعضها لتأليف كتابه ولم يكن من رجالات الفكر والرأي والنقد. الثانية: أن ابن النديم كان يترك بياضًا (فراغًا) في ثنايا كتابه ليملأه من يأتي بعده من العلماء بالمعلومات التي لم يصل هو إليها وذلك بطلبٍ منه شخصيًا[2]. وهكذا فإن النسخ التي بين أيدينا الآن فيها من الزيادات ما ليس من أصل الكتاب. الثالثة: النقص والتحريف اللذان لحقا بالكتاب مع مرور الزمن. وعلى كل حال فإن ابن النديم لم يكن صاحب رأي في هذه القضية، ولكنه فقط نقل "زعم العلماء" في ذلك. وأضيف إلى ملاحظات الأستاذ أحمد بن أمين[3] كذلك أن ابن النديم فيما يبدو من تحليل عباراته كان يُسمي عمل أبي الأسود (نقط المصحف)[4] "نحوًا" وربط بينه وبين القواعد النحوية التي نضجت في زمانه على يد البصريين. وكان يربط كثيرًا بين النشأة التاريخية لعلم النحو، وبين أسباب ظهوره، والمقام العلمي لعلماء اللغة. ولا يكفي مجرد ذلك للقطع بشيءٍ ما في هذه المسألة.

ومما يضعف القول بكتابة القواعد النحويّة في فترة نشاط هذه الدائرة هو طبيعة الاهتمام العلمي والواقع السياسي خلال الفترة الأخيرة من حكم الخلافة الراشدة وانتقال السلطة إلى الأمويين؛ فقد كان الحاكم مشغولًا طول الوقت بالحرب والسياسة. يندر أن تكون لديه فرصة النظر في علمٍ يرونه ثانويًا بالمقارنة مع الفقه والشريعة والقراءة. وأما الاهتمام العلمي الأقرب إلى النحو في ذلك الوقت هو "علم القراءات" الذي لا يزال في طور التكوين. وبعض أعلامه من تحول إلى نحويٍّ فيما بعد. هذا يشير إلى أن دائرة الضوء تُسلط على إتقان التلاوة، ورصد قراءات القرآن الذي جُمع ونسخ منذ عهد قريب، وإذا كان هناك من تماس بين هذا النشاط الجليل واللغة فيُستبعد أن يكون من جهة الموقع الإعرابي فهذا شيء لم يصل إليه فكرهم بعد، وإنما من جهة رسم الكلمات، ودلالاتها، وإحكام نطقها شفاهًا. وهذه هي اللغة المقصودة التي قيل إن صحابةً مقرئين كبار كانوا يسألون عنها بعض النابهين من التابعين. كما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه

---

[1] الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد، ط1، 228/16.

[2] ابن النديم، **الفهرست**، تحقيق: أيمن السيد، الطبعة المصرية، ص274.

[3] الملاحظات الثلاث السابقة كانت للأستاذ أحمد بن أمين كتبها في مقدمة كتاب "الفهرست" الطبعة المصرية سنة 1929م.

[4] الذي تطمئن إليه النفس أن عمل أبي الأسود لم ينطلق من قواعد نحويةٍ مقصودة، وإنما انطلق من السليقة اللغوية العربية التي كان أبو الأسود متمكنًا منها بسبب نسبه العربي، وبيئته العربية الخالصة. أضف إلى ذلك إلمامه بالقراءات القرآنية، ولهجات العرب. كل ذلك وفر له ظرفًا ملائمًا لضبط أواخر الكلمات بالنقط التي تحولت فيما بعد إلى ضمة وفتحة وكسرة وسكون بتجديدٍ من الخليل بن أحمد في منتصف القرن الثاني الهجري. ومن هنا فيما أحسب بنى كثير من الدارسين رأيهم في نسبة النحو إلى أبي الأسود وأستاذه الجليل. ويرى بعض الدارسين أن هناك جهدًا خطيًا آخر أُضيف إلى عمل أبي الأسود وهو "إعجام المصحف" الذي يهدف إلى التفريق بين الحروف المتشابهة. ويُنسب إلى نصر بن عاصم الليثي، وقيل: يحيى بن يعمر وكلاهما من تلاميذ أبي الأسود.

يسأل زر بن حبيش (ت82هـ) عن اللغة[1]. ومن يتأمل عبارات أبي الأسود الدؤلي المتداولة في خبريات اللحن الكثيرة لا يجد ما يشير إلى إلمامه بأي مصطلح من مصطلحات الدرس النحوي التي نقرؤها في عبارات من بعده. عندما صحح لابنته ضبط كلمة السماء في أسلوب التعجب؛ لم يقل لها انصبي السماء أو افتحي، وإنما قال لها: إذاً فتقولي ما أحسن السماء![2]. وكذلك عبارات جيل اللغويين الأقرب زمنًا إلى أبي الأسود لا تجد ذكرًا لكلمة "النحو" أو "الإعراب" أو ما شابهها.. من عبارات يونس بن حبيب: "أن أبا عمرو كان أشد تسليماً للعرب وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب."[3] وهو بذلك يتحدث عن السماع والقياس والتخطئة النحوية.

ب . دائرة الخليل بن أحمد الفراهيدي:

التقارب الفكري الشديد بين الخليل ومن جاء بعده من النحاة جعل خصائص الكتابة النحوية بين بداية القرن الثاني الهجري ونهاياته تجري وكأنها على قلب رجل واحد، من حيث التعاطي مع الأصول النحوية، وتحرير المسائل، وتنظيم الأبواب، والإنتاج اللغوي. لقد مثّل الخليل بن أحمد وتلاميذه البارزون من بعده الحلقة الثانية في سلسلة النشاط النحويّ الناشئ. هم لم يبدأوا من النقطة التي انطلق منها الفريق الأول؛ ولكنهم بنوا على الواقع اللغوي المنجز والحصيلة اللغوية المتوفرة آنذاك. لقد شارك النحاة الأقدمون من السلسة البصرية في تأسيس الأرضية اللغوية التي انطلق منها النحو العربي بدروسه التي نعرفها اليوم، وتلك الأرضية اللغوية بدورها قامت على ثلاثة أركان ركينة هي: القراءات القرآنية، وعلم الحديث، والشاهد الفصيح من الأدب العربي[4]. لقد كان النحو وليد القراءات القرآنية؛ فقد نضجت الفكرة عند القراء الذين صاروا فيما بعد نحاة أثناء القيام بعملهم القرآني[5].

لا يُستبعد أن تكون هناك جهودٌ لغويةٌ مفقودة تزامنت مع جهود الخلفاء الراشدين وأبي الأسود وتلاميذه؛ فالحديث عن أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، لا يحيط بعلم ما فيها غير الله تعالى. وهناك أسماء بارزة ما بين أبي الأسود والخليل قدمت للنحو العربي أكثر مما أُثِر عنها، أشهر أولئك عبد الله بن أبي إسحق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب. لقد اشتهر ذكر كتابي عيسى بن عمر "الإكمال" و"الجامع" في بيتين من الشعر أنشدهما الخليل، ولكن لم يُعثر على الكتابين إلى الآن، ولكن الأهم هو ما نقرؤه في أخبار عيسى بن عمر المتوفى سنة (149هـ) ونستدل منها على معرفته وأقرانه ببعض المصطلحات النحوية التي قيدها الخليل وسيبويه فيما بعد، وكذلك توظيف أصول النحو في المناقشات النحوية. من ذلك ما جاء في أمالي الزجاجي أن عيسى بن عمر قال لأبي عمرو بن العلاء: يا أبا عمرو، ما شيء بلغني أنك تجيزه؟ قَالَ: وما هو؟ قَالَ: بلغني أنك تجيز: ليس الطيب

---

(1) جماعة من المؤلفين، **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، د.ط، 340/1.

(2) السيرافي، الحسن بن عبد الله، **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه الزيني وآخرون، (د.ط) القاهرة: مصطفى الحلبي، 1966/1373م. ص15.

(3) المرجع السابق، ص23.

(4) أحمد بن مختار، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب: القاهرة، ط8، ص17.

(5) مهدي المخزومي، **المدرسة الكوفية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1377/ 1958م، ص20.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

إلا المسكُ، بالرفع، فقال له أَبُو عمرو: هيهات، نمت وأدلج الناس! ليس فِي الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا فِي الأرض تميمي إلا وهو يرفع [1].

والشاهد من هذا السياق أن القاعدة النحوية لم تنشأ هكذا في مدة حياة رجلٍ أو رجلين كما تصورها البعض وإنما كانت نتاج نشاطٍ لغويٍّ متسلسل ومنظم؛ لذلك فالأعمال اللغوية التاريخية التي تنسب إلى الخليل كوضع علامات الإعراب، وبعض الرموز الخطية المتداولة إلى الآن كالشدة والمدة[2]، لم تكن إلا ثمراتٍ لتلك الجهود جميعًا.

وكذلك كتاب سيبويه الذي يعد أقدم الجهود النحوية المعتبرة، وأساس دراسة النحو[3]، وعمدة الدراسة النحوية حتى القرن الثامن الهجري[4]، كان بمثابة درة التاج في مسيرة كتابة النحو العربي. ولا جرم أن يشترك في تأليفه اثنان وأربعون إنسانًا[5]؛ فمؤلفه أبو بشر آمن بالعمل الجماعي منذ البداية، وأدرك أن استقصاء القواعد النحوية لا يمكن أن يتحقق بجهدٍ فردي[6]. لقد وجد في كتاب سيبويه قرابة خمسةٍ وتسعين وثلاثمائة آيةً من الكتاب العزيز وتسعة وأربعون وألف من شعر العرب[7].

كل هذا يشير إلى بداية نشأة الدرس النحويّ قبل دائرة الخليل وتلاميذه.

كما لا ينبغي إغفال عوامل أخرى مؤثرة في هذه القضية، كتطور الخط العربي، ومشاركة الفرس والنبط وأجناس أخرى للمجتمع العربي في العراق الذي شهد نشأة النحو وتكوينه[8]. وكذلك علم المنطق والجدل الذي ربطه بعضهم بنشأة النحو ربطًا يبعده كثيرًا عن العقلية العربية في بعدها الفردي والجماعي[9].

ومع حضور تلك العوامل المؤثرة والحاجة إلى معرفة تأثيرها المتوقع في هذه القضية؛ إلا إن بعض العلماء القدامى الموسوعيين كانوا يبنون على بعض الإخباريات المتناثرة تقريرًا علميًّا في أصل نشأة العلوم، ومن ذلك نشأة علم النحو الذي تقدم بيانها في المبحث السابق. وكذلك "علم الصرف" الذي نسب الإمام السيوطي نشأته إلى معاذ الهراء الكوفي بسبب مسألة صرفية ناظر فيها بعض أقرانه في الكوفة[10].

---

(1) الزجاجي، **أمالي الزجاجي**، تحقيق: عبد السلام بن هارون، دار الجيل: بيروت، ط2، 1407هـ/1987م

(2) رمضان بن عبد التواب، **بحوث ومقالات في اللغة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1995م، ص177

(3) انظر: محمود حجازي، **علم اللغة العربية**، دار غريب: القاهرة، د.ط، ص84.

(4) محمود حجازي، **علم اللغة العربية**، ص85. مهدي المخزومي، **المدرسة الكوفية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1377/ 1958م، المقدمة.

(5) هذا قول أبي العباس ثعلب، نقله عنه ابن النديم في الفهرست. (الفهرست، ص74.)

(6) نقل علي بن نصر بن عاصم عن والده: " قال لي سيبويه حين أراد أن يضع كتابه: تعال حتى نتعاونَ على إحياء علم الخليل." (سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام بن هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1408/1988م، 8/1)

(7) الحلواني، محمد بن خير، **أصول النحو العربي**، ، (الطبعة الثانية) الرباط: الناشر الأطلسي، 1403م/1983م ص17

(8) الجاحظ، **البيان والتبيين**، مكتبة الهلال: بيروت، 1423هـ/1993م، 106/2. البلاذري، **فتوح البلدان**، مكتبة الهلال: بيروت، 1408هـ/1989م ص66.

(9) عيد، محمد، **أصول النحو العربي**، عالم الكتب: القاهرة، 1409/1989م ط4، ص24.

(10) شوقي بن ضيف، **المدارس النحوية**، ص154.

الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

ج . رأي ابن فارس ورأي المحدثين.

تفرد ابن فارس من بين المتقدمين من علماء اللغة بذلك الرأي الذي يرجع نشأة النحو العربي مع نشأة اللغة ذاتها. ولكن قبل تحليل ما ذهب إليه هذا اللغوي الشهير لا بد من معرفة حيثيات هذا التصور.

لقد كان الرجل في صف العلماء القائلين بنظرية التوقيف في نشأة اللغات الإنسانية. وهذه النظرية من حيث كونها تمس التعليم الإلهي ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[1] فإنها تقتضي الكمال. ومن كمال اللغة الموقوفة وتمامها أن تُلقّن بجميع خصائصها الفنية. والإنسان بعد ذلك هو الذي تصرف فيها وأحدث ما أحدث[2]. ومن هنا ـ كما أحسب ـ يرى ابن فارس أن المادة النحوية تنوسيت حتى بعثها الرجال من جديد بعد نزول القرآن الكريم. ومنهج "القدم" الذي يتشبث به أحمد بن فارس يتوافق كذلك مع مذهبه النحويّ الذي يجنح إلى معسكر الكوفيين[3]، ومذهبه في منشأ الكتابة والذي هو التوقيف[4].

إذن فالرجل يربط بين دعوى الاصطلاح والوضع بوجود الدليل. ولا دليل شافٍ هنا، بينما استدل هو بالآية التي تقدمت والآية الأخرى (عَلَّمَهُ البَيَان))[5] في أن "البيان" المذكور يدخل فيه كل شيء بما في ذلك: النحو والإعراب والرفع والنصب والهمز[6].

فهذا إذن فيما يظهر تصور ابن فارس لنشأة النحو العربي، وهو رأي مبني على الاستنباط من الدليل الشرعي لا من الدليل نفسه؛ فقد نازعه عليه في مفهومه جمع غفير من أهل العلم. وحتى لو سلمنا لرأيه فنحن لا نريد النحو الذي تنوسي، وإنما النحو المعهود الذي أُنشئ ونضج وكمل على ضوء مشكاة الكتاب والسنة والفصيح من كلام العرب.

وأما الرأي الأخير فيعيبه فقط التركيز على المدينة المنورة في إقامة صرح النحو العربي، وإلا فهو رأي جدير بالاعتقاد. نعم لقد كانت هناك ثمة مجهودات لغوية أسس لها النبي الكريم عليه السلام وصاحباه الخليفتان من بعده، مما يروى عن النبي ـ عليه الصلاة السلام ـ من ذم للحن، وما أسند إلى عمر وأبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ من مرويات في هذا السياق[7]. أيضًا وجود بعض العلماء البارزين في المدينة المنورة الذين برعوا في القراءات وعلموها الناس. ولكن مع ذلك فإن الدرس النحويّ بمعناه المقصود لم ينشأ، ولم يتكون في المدينة فقط، كما لم ينشأ في الكوفة فقط وفيها علي ـ رضي الله عنه ـ وأبو الأسود وتلاميذهما.

---

(1) سورة البقرة، الآية 31.

(2) وجدت لهذا التصور أصلًا عند أحد كبار النحاة وهو ابن جني. يقول في الخصائص: "وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر. فقوى في نفسي اعتقاد كونها توفيقًا من الله سبحانه وأنها وحي" فما كان من قبيل الوحي يكون الأقرب إلى الكمال والتمام. "الخصائص" تحقيق: محمد النجار، ط4، الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة، 48/1.

(3) ابن فارس، **الصاحبي في اللغة**، المقدمة ص5.

(4) سورة الرحمن، الآية 4.

(5)ابن فارس، **الصاحبي في اللغة**، المقدمة ص15.

(6) ابن فارس، **الصاحبي في اللغة**، المقدمة ص16.

(7) اشتهر بين المؤرخين رواية منسوبة إلى النبي عليه السلام: أن رجلًا لحن بحضرته؛ فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل" ولكني لم أجد هذه الرواية في أحد كتب الحديث المعتبرة. وشاع بينهم كذلك بعض الإخباريات من سيرة عمر وأبي بكر إنهم كانوا يحاسبون على اللحن ويشددون فيه.

الخاتمة

لقد تناول الباحثون من أديان مختلفة، وعرقياتٍ متعددة قضية "نشأة النحو العربي" منذ زمن مبكر. وقد تأثرت دراساتهم كثيرًا بالمصطلحات المصاحبة: اللغة، العربية، النحو، الدرس النحوي.. كما لا يُستبعد تأثرها كذلك بانتماءاتهم الفكرية والسياسية، والقومية. وكان بيننا وبين بعضهم قرون طويلة لم نتمكن من الوقوف على مقاصدهم في الرأي إلا من خلال القليل المتوفر من الدليل. وما وصل إلينا من آراء تنسب وضع النحو العربي أو (وضع العربية) إلى أشخاص محددين لم تستطع الارتفاع عن النقد التاريخي والمنهجي، ومع إجلال الباحث المعاصر للأسماء المقدمة إلا إنه لا يمكنه غض الطرف عن بعض الحقائق التي تمنع التسليم لتلك الآراء.

ويبقى التجرد العلمي، والبحث الشاق المتواصل، والأمانة في النقل، هي العوامل الموصلة إلى نتائج أقرب إلى الصواب في هذه القضية عوضًا عن التعويل على نُقُولاتٍ ظنية أو مرجوحة، أو التسرع باعتقاد آراء محددة تستحسنها بعض العقول، وقد يكون الحق في غيرها.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

النتائج والتوصيات

1 . خلُصت الدراسة إلى أن الأقرب إلى الصواب في هذه القضية، أن نشأة الدرس النحويّ قد ابتدأ فعلًا قبل دائرة الخليل والخلفاء الراشدين. بدأ أولًا عبر توجيه الأنظار إلى الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم حين أنزل قبل الهجرة النبوية بقليل ثم زادت حاجة المجتمع الإسلامي إلى إخراجِ شيءٍ ملموس ومحدد يقي من "اللحن" الذي حذرت منه السنة النبوية الشريفة، وعرفته العرب في جاهليتها، وزاد تفشيه بعد تحول اللغة العربية إلى لغةٍ مُتعلمة بسبب انتشار الإسلام. ومع جمع القرآن الكريم ونسخه وتوزيعه على الأمصار، وكذلك نقط المصاحف وتشكيلها؛ ظهر الدرس النحوي في صورة بعض الأقيسة النحوية التي ألهمتها القراءات القرآنية للغويين من تلاميذ أبي الأسود، وتلقفها عنهم بعد ذلك الخليل وتلاميذه الذين خرج على أيديهم الدرس النحويّ مكتمل الأركان أو يكاد.

2 . الخلط بين بعض المصطلحات التي تتصل بالدراسات النحويّة ساهم في إساءة فهم بعض المفاهيم المهمة ك (النحو، والدرس النحوي) فـ"النحو" بمفهومه المتداول نشأ مع ظهور اللغة العربية ذاتها؛ لأنه سمةٌ مكونة من سماتها. وأما (الدرس النحويّ) فقد ابتدأ فعلًا قبل دائرة الخليل والخلفاء الراشدين، بحسب ما أشارت إليه نتائج الدراسة.

وعلى ضوء هاتين النتيجتين، **يوصي الباحث** بمراعاة التوظيف الدقيق لمصطلحات علم النحو وأصوله في ميدان الدراسات اللغوية؛ فإن اختلاط المفاهيم لدى دارسي النحو العربي يُعد من أهم العوامل التي تحول دون فهم هذا العلم الشريف. كما يُوصي بمراجعة المصادر العلمية التاريخية التي تُستقى منها الآراء؛ فهي عادةً ما تكون قابلة للنقد والتصويب.

المراجع

1. أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشِّعر**، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، 1952م.
2. إبراهيم، جمعة، **قصة الكتابة العربية**، د. ط، دار المعارف، مصر، 1947.
3. أبو سكين، إبراهيم، **دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة**، د.ط.
4. ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط1، 1389هـ/1969م

5. ابن الأنباري، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار/ الأردن، ط3، 1405هـ/ 1985م
6. ابن الجراح، **من اسمه عمرو من الشعراء**، ص16 بترقيم المكتبة الشاملة. د.ط، د.ن.
7. ابن النديم، محمد، **الفهرست**، ت:أيمن السيد، ط2، مؤسسة الفرقان، 1435هـ/2014م.
8. ابن جني، **الخصائص**" تحقيق: محمد النجار، ط4، الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة، دون سنة نشر.
9. ابن حبان، **الثقات لابن حبان**، دائرة المعارف، حيدر أباد، ط1.
10. ابن شبة، **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم بن محمد، ط1، جدة: د.ن، 1399هـ/1979م.
11. ابن عبد البر القرطبي، **الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى**، تحقيق: عبد الله السوالمة، ط1، الرياض: دار ابن تيمية للنشر، 1405هـ/1985م.
12. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ط1، تحقيق: عمر بن غرامة، 1415هـ/ 1995م.
13. ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها**، محمد بيضون، ط1، 1418هـ/197م،
14. ابن منجويه، **رجال صحيح مسلم**، تحقيق: عبد الله الليثي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1407هـ/ 1988م
15. ابن منده، **المستخرج**، تحقيق: عامر صبري، نشر وزارة العدل: البحرين، 574/2.
16. ابن وهب، **تفسير القرآن من الجامع**، تحقيق: ميكلوش موراني، ط1، دار الغرب الإسلامي، دون سنة نشر.
17. أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ط2، مطبعة الاعتماد: 1352هـ/1934م.
18. أحمد بن مختار، **البحث اللغوي عند العرب**، (الطبعة الثامنة) عالم الكتب: القاهرة، 1423هـ/2003م
19. الأفغاني، سعيد، **من تاريخ النحو العربي**، مكتبة الفلاح، د.ط.
20. أماني زاده، يوسف، **نجاح القارئ شرح صحيح البخاري**، تحقيق: شاكر الزيباري، جامعة القاهرة: مصر، 1436هـ/2014م.
21. البخاري، محمد بن إسماعيل، (2019) **التاريخ الكبير**، ط1، الرياض: المتميز للطباعة والنشر، 1440هـ/2019م.
22. البلاذري، **فتوح البلدان**، مكتبة الهلال: بيروت، 1408هـ/1989م.
23. الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، 1422هـ/2002م.
24. جماعة من المؤلفين، **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.
25. جواد، علي، **المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام**، ط4، دار الساقي: بيروت، 2001/1422م.
26. الحاكم النيسابوري، الأسامي والكنى، ط1، تحقيق: محمد بن علي، دار الفاروق: 1436هـ/2015م.
27. حجازي، محمود، **علم اللغة العربية**، دار غريب: القاهرة، د.ط.
28. الحلواني، محمد بن خير، **أصول النحو العربي**، ط2، الرباط: الناشر الأطلسي، 1403م/1983م
29. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان بن عباس، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.
30. الخراط أحمد، **عناية المسلمين باللغة العربية**، نشر مجمع الملك فهد. د.ط.
31. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد، ط1.
32. رمضان بن عبد التواب، **بحوث ومقالات في اللغة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1995م.
33. الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: جماعة من المتخصصين، المجلس الوطني للثقافة/ الكويت، 1385هـ/ 1965م.
34. الزجاجي، **أمالي الزجاجي**، تحقيق: عبد السلام بن هارون، دار الجيل: بيروت، ط2، 1407هـ/1987م

35. سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام بن هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1988/1408م.
36. السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه الزيني، ومحمد خفاجي، (د.ط) القاهرة، نشر مصطفي البابي، 1377هـ/1966م.
37. السيوطي، **المزهر في اللغة العربية وأنواعها وآدابها**، تحقيق: فواد بن علي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1418هـ/1998م،
38. السيوطي، **بغية الوعاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية: لبنان، 22/2. رقم 1334.
39. الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ/1960م.
40. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دط، دار إحياء التراث: لبنان، 1423هـ/2000م.
41. ضيف، شوقي، **تأريخ الأدب العربي**، ط1، القاهرة: دار المعارف.
42. الطنطاوي، **نشأة النحو وأشهر النحاة**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، مكتبة إحياء التراث، ط1، 1426هـ/2005م مجموعة مؤلفين، **مجلة جامعة أم القرى**، العدد 11.
43. الظبي، المفضل بن محمد، **أمثال العرب**، بيروت: دار الرائد، ط1، 1401هـ/1981م.
44. عيد، محمد، **أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**، ط4، القاهرة: عالم الكتب، 1409هـ/1989م.
45. العيني، بدر الدين ، **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، تحقيق: جماعة من الباحثين، دار إحياء التراث: بيروت، د.ط، 196/8.
46. فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1412هـ/ 1992.
47. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: 38.
48. الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود بن محمد شاكر، دار المدني: جدة.
49. محمود حجازي، **علم اللغة العربية**، دار غريب: القاهرة، د.ط.
50. المقدسي، **الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد بن شادي آل نعمان، ط1، الكويت: غراس، 1437هـ/2016م.
51. مهدي المخزومي، **المدرسة الكوفية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1377/ 1958م.
52. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، تصحيح وتعليق: شركة العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط.
53. النووي، **شرح النووي على مسلم**، دار إحياء التراث: بيروت، ط2، 1392هـ/1972م.
54. الهمذاني، المنتج، **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، تحقيق: محمد بن نظام الدين الفتيح، ط1، د.ن: 1427هـ/2006م.
55. يوهان فك، **دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**، ترجمة: عبد الحليم النجار، الناشر: المركز القومي للترجمة 1414هـ/2014م.
56.